غادر الرئيس علي عبدالله صالح السلطة ولكنه- وفق مشاهداتي- لم يغادر قلوب الملايين من أبناء هذا الشعب، فقد ارتبط مع الكثير وجدانياً إلى درجة الاندماج الكلي الذي يتعذر معه التصور في المخيلة أن تكون اليمن بدون صالح.

لقد هرع الناس إلى صناديق الاقتراع تلبية لدعوة الرئيس.. وثمة رجل أو امرأة ممن شاهدت ذهب إلى تلك الصناديق على مضض.. وثمة امرأة ألصقت مكان صورة المرشح في ورقة الاقتراع صورة الرئيس إلى أن طاوعتها نفسها فاقترعت.. لا أظن ماحدث ويحدث مجرد مشاعر آنية تجاه الرئيس، ثمة رابط خفي جعل من (كاريزما) الرجل قضية تأمل، ومحور بحث، هناك روح إنسانية عامرة بالمشاعر النبيلة قادرة على أن تحيل كل ذلك الضباب المملوء بالكره والحقد إلى مطر يغسل قلوب الحاقدين بالحب والخير والسلام.

الزعيم التاريخي

عبدالرحمن مراد

لقد كتبت عن الرئيس ونظامه كما لم يكتب غيري وتطرقت إلى قضايا عجزت الأحزاب نفسها عن طرحها على طاولة القضية الوطنية بشهادة الكثير من رموز تلك الأحزاب الذين يميلون إلى الحق والإنصاف.. ولعل الصحف- ومنها صحيفة «الصحوة»- دالة على ذلك الأثر فقد كان لي عمود ثابت فيها بعنوان «مجبر» إستمر لأكثر من عامين بيد أني لم أكتب جلّ ما كتبت حقداً أو كراهية أو من باب الإملاء الحزبي لأنني خرجت من بوابة اليسار في ٩٧م ولم أعد إليها مطلقاً- أي الحزبية- بل لقد ظل الوطن هو القضية التي أتفق أو أختلف عليه مع الآخر، ولذلك كتبت في زمن الرئيس علي عبدالله صالح نقداً أملته عليّ الضرورة الوطنية- ولم أحمل حقداً كما حمل الآخر نحوه بل صرحت في أكثر من مقال وحوار أن ما يربطني بالرئيس هو آصرة وجدانية لايمكنني القفز عليها- وهي الضرورة ذاتها التي جعلتني أقف منافحاً عنه بعد أن اكتشفت وأنا في ساحات الاعتصام أن ثمة قوى خرجت بحثاً عن الثروة والسلطة ولا قضية وطنية عادلة لها، إذ أن مبادرة الرئيس في مارس ٢٠١١م كانت ثورة حقيقية وانتقالاً حقيقياً، ولا أظن أننا سنصل إليها مستقبلاً ذلك أن ثمة قوى ترى في معاني تلك المبادرة جنوحاً لا يحقق أهدافها في الثروة والسلطة ولم يكن اشتغالها على المدنية والعدالة والحرية إلاّ مزايدة مقيتة ليس أكثر، وقد دلت الأيام على ذلك ويمكن تأمل خطاب اليدومي عشية الانتخابات وتصريحات علي محسن ليكتشف الواحد منا مرامي القوم وغاياتهم، فأنا لم أطمئن لليدومي ولم يفاجئني علي محسن وقد أعلن للملأ أن ياسين سعيد خذلني حين يفلسف العملية الثورية التي تمارس الاستبداد من زوايا مختلفة لا نظنها تدل على الواقع أو تومئ إليه كما أن رؤيته لإشكاليات الواقع من خلال أدواته المعرفية القديمة لاتصنع توصيفاً حقيقياً له فالاستبداد بمفهومه القديم في عصر النهضة لايدل إلاّ على تلك الجماعات التي تلغي الآخر المغاير من خلال قولها بامتلاكها الحق الإلهي في الوجود وما خلا ذلك فإن التوصيف اصبح مجانفاً لجل حقائق الواقع وتجلياته لذلك فالمثقف الذي حسم موقفه مع الاستبداد وفق تعبير الدكتور ياسين، لم يحسمه جزافاً بل كان حسماً واعياً مدركاً حدود المصطلح المعرفية ومائلاً إلى القضية التراكمية من حيث الوصل لا القطع وخوفاً من جماعات أكثر طغياناً بل واستبداداً تقتل باسم الله وتنهب مقدرات الوطن وتعتبر ذلك غنيمة وأنفالاً أحلها الله.. وما الله بغافل عما يفعل الظالمون.

إذا ترك المشير علي عبدالله صالح السلطة لا ذليلاً ولا مهاناً بل ليضيف بعداً أخلاقياً جديداً يسقط من خلاله مناوئيه في قبور الرذيلة وسوء الأخلاق، لقد نصح مناوئيه طوال عام من الزمان بالنبل والقيم الجميلة في حين قذفوه بأفحش الألفاظ ونالوا من عرضه ما لم ينله أحد من قبل ومازالوا، وقد أكبر فيه الشعب ذلك فكبر أكثر وصغروا إلى درجة الهوان، لأن السِّباب وفحش الأخلاق ليس أكثر من شعور بالنقص وهو ليس من أخلاق الكبار أو ذوي الشرف الرفيع، فالثورة ليست فحشاً أخلاقياً بل هي مشروع حضاري بديل، وأتمنى على الدكتور ياسين أن يضيف مثل ذلك في اشكالياته التي قالها ككلمة للتاريخ وأصدرها في كتيب صغير.

كما أن الثورة تأسيس قيمي للانتقال، وبهذا المفهوم يكون الرئيس علي عبدالله صالح ثائراً من الطراز الأول لأن إصراره على تأكيد سلطة الشعب تأسيس لمستقبل آمن ومستقر وقبوله بخيار الخروج من السلطة تأسيس لمبدأ التداول للسلطة الذي عجزت عنه حتى المعارضة في أطرها التنظيمية، وترفعه عن الولوج في صغائر الأمور ثورة في حدّ ذاتها لأن قيمة الأمم في أخلاقها وهي قيمة مثلى أكد عليها القرآن الكريم كبعد مواز للبعد الروحي وبها وصف الرسول صلى الله عليه وعلى آلهَ وسلم بالقول «وإنك لعلى خلق عظيم».

أتحدث اليوم عن علي عبدالله صالح إنصافاً له، وكلمة حق في حقه إذ لم أكن في يوم من الأيام وهو في أوج سلطته إلاّ ناقداً له وناقماً على كثير من الممارسات، وقد جر ذلك عليّ وبالاً مازلت حتى اللحظة أدفع ثمنه في الإقصاء والتهميش وضيق المعائش، ولم تشهد الأيام لي وقوفاً على باب أو تزلفاً بوسيط بل لقد ملكت يقيناً بذاتي جعلني أسمو فوق مباهج الدنيا، فأنا من أولئك الذين قالوا كلمتهم ثم مروا ولم ينتظروا جزاءً أو شكوراً من أحد، وحين أتحدث اليوم عن علي عبدالله صالح فأنا لا أرثي مجداً فقدته، ولا آمل غداً فيه، إنما أقول ذلك كلاماً منصفاً في رجل اختلفنا معه كثيراً وأحببناه أكثر، إذ قالت الأيام إن نقدنا له كان حباً صافياً وحب غيرنا كان نفاقاً خالصاً تضبط إيقاعه المصلحة الذاتية، وحبنا له تضبطه المصلحة الوطنية..

لقد قاطعت انتخابات ٩٩م وقاطعت انتخابات ٢٠٠٦م بل لقد شكلت مجموعتي الشعرية التي بعنوان «وطني غائب كأبي» رؤية مناهضة لانتخاب علي عبدالله صالح.. وعلّل أحد نصوصها ذلك الرفض بالرغبة في الوصول إلى المواطن علي عبدالله صالح للتعبير عن شكرنا وامتناننا بإعادة تحقيق الوحدة اليمنية دون بهرج سلطوي أو إجراء أمني، ومثل ذلك الهاجس الشعري سيظل قابلاً للتحقق فأنا أكثر حرصاً على لقاء المواطن علي عبدالله صالح ولم أكن بالحريص على لقاء الرئيس علي عبدالله صالح.

مهما قيل أو يقال عن علي عبدالله صالح سيظل واحداً من دهاة هذا الزمن الذين استطاعوا بذكائهم الفطري أن يحفروا في جدار الزمن منجزاتهم الخالدة ومآثرهم الحسنة، وسيظل التاريخ هو الفيصل الحق في إنصافه وقول الحقيقة عنه وعن خصومه.

أكتب اليوم في وداع الرئيس علي عبدالله صالح الذي حكم اليمن ٣٣ عاماً فتموجت به الأحداث، وماجت به الوقائع، وهاجت به الأعاصير، واستطاع رغم ذلك كله أن يقود سفينة الوطن إلى مرافئ الأمان، ويحقق الكثير من المنجزات، وقد أخطأ هناك وأصاب هنا، شأنه شأن كل البشر، إذ لا عصمة لأحد، ولا كمال إلا لله، واستقبل في السياق ذاته المواطن علي عبدالله صالح بين شعبه الذي أحبه وأحاطه بحنانه، ذلك الشعب من الحفاة والعراة والبسطاء الذين كانوا أكثر وفاءً له من غيرهم وأقصد من أولئك الذين قدموا له قرابين الطاعة، وسبحوا بحمده زمناً طويلاً، وكانوا أول الناقمين عليه حين تغير به الزمان.

أكتب للمواطن علي عبدالله صالح مذكّراً إياه بقول حكمائنا إنَّ من خلع جلباب السلطان تغيَّر عليه الخلان، فالرئيس الذي كنته كان يفتح عينيه على كثير والمواطن الذي تكونه من الآن قد لايجد من أولئك أحداً، فانسَ ماضيك تعش حاضرك، ولا تأسَ على مافاتك وانظر إلى غدك وعش لحظة هدوئك ولذة صمتك فكم تمناها من كان مثلك من قبلك ولم يجدوها، واحمد الله أن أزاح همّك وحمله كاهل غيرك، لقد امتلكت الآن حريتك من عبودية سلطانك، فغرد كيف شئت تحلو لك الحياة، واجعل القرآن ذكرك والشعر ملاذك والرواية قرينك والكتاب جليسك تعش أزمنةً لم تعشها وتضف أعماراً إلى عمرك.

لقد جلدناك بألسنتنا وأقلامنا، وودعنا الرئيس فيك بدموع حدقاتنا مع جموع الكادحين والبسطاء، ونستقبلك بقلوبنا مواطناً في وطنك، فعش أحلامنا وتمنى أمانينا وشاركنا شظف العيش، ومرارة الانكسار، ولذة الطموح، والعن السياسة كما نلعنها فهي ليست أكثر من بريق وسراب كاذب طالما مارست على أحلامنا روغانها وخداعها وطالما أراقت دماءنا على مقاصل مكرها..

فلك منا التحايا مقرونةً بباقات الأمتنان ودُمْتَ..

شكراً.. حكيم اليمن

نبيهة أحمد محضور

< خنقتني العبرات وتجمعت في مقلتي بحيرة من الدموع الساخنة، التي لم استطع مقاومتها، فانحدرت كسيل جارف وأنا استمع لخطاب رئيس الجمهورية عشية الواحد والعشرين من فبراير، وأنا على ثقة أن الآلاف بل الملايين ممن أحبوا هذا الرجل العظيم، قد انهمرت دموعهم مثلي حزناً وفرحاً وفخراً، حزناً لفراقه.. وفخراً بشجاعته وعظمته.. وفرحاً لخاتمته المشرفة له ولشعبه، هذا الخطاب المتميز كغيره من الخطابات المتميزة التي اعتدناها من هذه الشخصية الكرازمية النادرة التي لاتترك أي حدث يمر عابراً دون أن يطل علينا بخطاب الرجل القيادي الذي يتحمل مسؤولية وطنه وشعبه، ويشعرهم بقربه منهم وبإحساسه بمعاناتهم فلم يعتد أن يدفن رأسه في التراب كالنعامة، بل كان دائماً فارساً يمتطي صهوة حصانه.. يتقدم فرسانه الذين ألفوا شجاعته.. وتدربوا في ميدانه!!

هذا الخطاب الذي جاء هذه المرة وهو على أعتاب ختام مسيرة نضاله التي اثبت فيها أنه أهلاً لأن يكون حاكماً لهذا البلد، وهذا الشعب الذي يختلف عن غيره من شعوب العالم، شعب ترتفع فيه نسبة الأمية وتبلغ نسبة السلاح الشخصي الذي يمتلكها اليمنيون أكثر من عددهم، ، فاستطاع رغم ذلك أن يقود سفينته رغم الأمواج المتلاطمة، ويوجد لها مكاناً بارزاً بين الأمم والشعوب..هذا الخطاب الذي كان فيه مودعاً للسلطة، التي اثقلت كاهله ثلاثة وثلاثون عاما، استطاع خلالها احتواء أزمات بلاده، ومتناقضات مجتمعه وقدم روحه رخيصة من أجله.. هذه السلطة التي جاء إليها حاملاً كفنه بيديه، باذلاً روحه فداء للوطن، في وقت تنصل الجميع عن تحمل هذه المسئولية الثقيلة، فتحملها من أجل الوطن، وها هو اليوم يحط رحاله فخر واعتزاز بعد أن أرسى قواعد الديمقراطية التي هو من أسسها ووضع لبنتها، ليترك إرثاً غنياً للشعب اليمني وهو الوحدة اليمانية المباركة التي اعلنت شعلتها في عهده، وبفضل مساعيه وجهوده الكبيرة، بعد أن حول الوطن من العصور البدائية إلى وطن يزخر بالمنجزات، بالمدارس والجامعات والمؤسسات، منجزات لاينكرها إلاّ جاحد أو أعمى البصيرة!!

هذا الخطاب الخالص الوطنية، الذي حث فيه أبناء الشعب اليمني للتوجه إلى صناديق الاقتراع لترشيح الأخ المشير عبدربه منصور هادي المرشح التوافقي ومرشح المؤتمر الشعبي العام، ليكون رئيساً للجمهورية وخلفاً له ليكمل مشوار قيادة البلاد، فلبى اليمانيون هذا النداء وتوجه بالملايين، نساء ورجالاً، شيبة وشباباً امتثالاً لأمره، وبايعنا جميعاً الأخ المشير عبدربه منصور هادي رئيساً للوطن، بايعناه على السمع والطاعة في غير معصية ونبارك له ثقة الشعب اليمني فيه لأنه أهل لها فالجميع يعرف وطنيته وحلمه وكفاءته ووفاءه ولأننا نعلم أن السلطة غير مقصدك بل حب الوطن أجبرك أن تتحمل هذه الأمانة كرفيق دربك.. نهنئك ونشد على يديك فاليمنيون يعلقون الآمال عليك وتدافعوا إلى صناديق الاقتراع، بصورة أذهلت العالم من أجل أن يقولوا: «نعم لعبدربه منصور هادي» ثقة كبيرة في وطنيتك واستجابة لنداء رئيسهم، فكان الـ ٢١ من فبراير تجسيداً لمبادئ الديمقراطية التي كانت مطلبه هو علي عبدالله صالح قبل الشعب اليمني وكان هو بحق رائد التغيير في بلادنا وصانعه والذي سوف يخلد له التاريخ هذه الشجاعة وهذا الصمود حتى آخر لحظة..

هذا هو علي عبدالله صالح الذي اثبت للعالم بأسره أنه ذلك القيادي العظيم، أنه رجل المواقف الصعبة والعزيمة الكبيرة والإرادة القوية التي لاتنثني، القادر على اتخاذ القرارات الصعبة والمصيرية بكل شجاعة، علي عبدالله صالح الذي استطاع التخاطب مع كل فئات شعبه فكان الحكيم وكان المثقف وكان البسيط وكان الأب الذي يحرص على أبنائه، وكان الحارس الأمين لوطنه، فمجمل خطاباته تشعرك بانتمائه إلى شعبه وتجبر شعبه بالإنتماء إليه (أبائي.. وامهاتي.. اخواني واخواتي.. أبنائي وبناتي) كلمات لها وقعها في نفوسنا جميعاً، تشعرنا بحنان الوالد وعظمة القائد..

فشكراً لك أيها الوفي.. شكراً قاصراً على الوفاء بحقك فكل الكلمات والعبارات تقف عاجزة عن التعبير عن مدى حبنا وتقديرنا لك أيها العظيم بأخلاقك وأعمالك، ومنجزاتك، شكراً لكل ما قدمته للوطن.. شكراً لأنك استطعت اخراج بلادك إلى شاطئ الأمان، واحبطت كل الرهانات الخاسرة.. فانتصرت لوطنك وخرجت منتصراً، مرفوع الهامة شامخاً كردفان ونقم!! وستظل حتماً رجلاً عظيماً في نفوس اليمنيين الأوفياء وسيخلدك التاريخ في انصع صفحاته المشرقة إلى جانب العظماء..!!